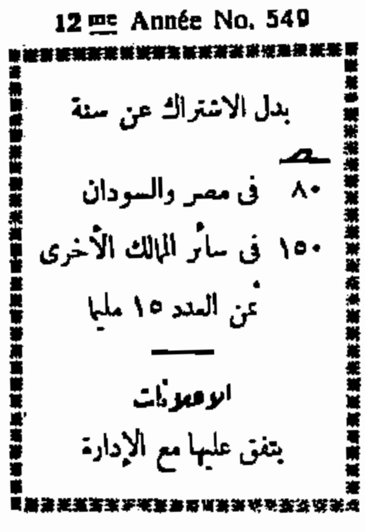
12me Année No. 549 — Lundi - 10 - 1 - 1944



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٥٤٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

خلاف يستحق الاختلاف

للأستاذ عباس محمود العقاد

ذلك هو الخلاف الذى أشار إليه الفاضلان : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، والأستاذ حسن الأمين حاكم النبطية فى العدد الأخير من (الرسالة) : أولهما فيما يرجع إلى كتابى عن « الصديقة بنت الصديق » ، والثانى فيما يرجع إلى كتابى « عبقرية الإمام »

فالعالم الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدى يقول : إننى حكمت العقل قبل النقل فى مسائل التاريخ إلا فى موضعين : أولهما ما ذكرته من قول عائشة للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد حمل إليها ابنه ابراهيم لترى ما بينهما من عظيم الشبه ، فأنطقتها الغيرة بما أشرت إليه ، ومقام السيدة عائشة ينبو عن تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فى شيء من الأشياء

وثانيهما ما ذكرته من قول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة فى حديث الإفك : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . ومثل هذا ـ كما يرى الأستاذ الصعيدى ـ لا يصح أن يقوله النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يعرض

لمن أقر بالزنا عنده أن يرجع عن إقراره فكيف يخالف ذلك مع عائشة ؟ ... إلى آخر ما ورد فى كلة الأستاذ

ورأيى كما قال الأستاذ أن العقل مقدم على النقل ، ولكن النقل لا يبطل إلا بالبرهان أو باستحالة القبول

وليس فيما لاحظه الأستاذ الصعيدى موضع لبرهان ، ولا لاستحالة عقلية تقوم مقام البرهان

فالصحيح أن السيدة عائشة لا تكذب النبى عليه السلام فى شىء من الأشياء ، ولكن الذى حدث فى أمر ابراهيم ليس فيه من تكذيب ينبو عنه مقام السيدة عائشة

رأى النبى عليه السلام شبهاً بينه وبين ولده ابراهيم وسأل السيدة عائشة فى ذلك فقالت : إنها لا ترى شبهاً

فالتكذيب هنا إنما يكون إذا قالت : « إنك يا رسول الله لا ترى شبهاً بينك وبين ابراهيم »

أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه – وهى لا تراه – فذلك هو الكذب الذى ينبو عنه مقامها

ومن السهل جداً أن تغشى الغيرة عين المرأة المحبة فلا ترى فى ابن ضرتها المحاسن التى تحبب تلك الضرة إلى رجلها المعزز عليها ، فإذا غاب هذا الشبه عن عين عائشة فلا غرابة فى الأمر ولا مخالفة فيه للطبائع الإنسانية والطبائع النسوية على التخصيص ، وإذا قالت إنها لا ترى الشبه – وهى لم تره فعلاً – فقد صدقت فى مقالها ونطق لسانها بما تأدى إلى نظرها ولم تزد عليه

وقد ورد فى الخبر أن السيدة عائشة كانت تغاضب النبى وتقول له « اقصد » فى مقالك أمام أبيها ، فيلطمها أبوها عقاباً لها . وليس كلام المغضبة أو الغيور بالكلام الذى يصدر عن تكذيب أو بغضاء .

أما أن النبى عليه السلام لا يصح أن يقول للسيدة عائشة : إن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه »

فهذا ما يخالف الأستاذ فيه كل المخالفة

إذ هذا المقال هو الذى يصح أن يقوله النبى عليه السلام فى هذا المقام . وماذا فيه إلا أنه عليه السلام يدعو من ألم بذنب إلى الاستغفار ؟ وأى عجب فى ذلك وقد صحت فيه آيات من القرآن فضلاً عن الأحاديث النبوية ؟

ويلاحظ أن النبى عليه السلام قال للسيدة عائشة : « إن كنت ألممت ولم يقل لها إن كنت اقترفت ذنباً » ولا يخفى أن الإلمام يناسب اللمم الذى هو دون كبائر الإثم والفواحش ، وفيه يقول القرآن الكريم : « ولله ما فى السموات والأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة »

وفى كلام النبى موافقة لهذه الآيات . وفى القرآن الكريم أن نبياً هم بأمر وعدل عنه . والهم والإلمام قريبان : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »

فدعوة النبى للسيدة عائشة أن تستغفر عن لمم ليست بالدعوة التى ينكرها العقل ويجزم باستحالتها ، وليس فيها ما يناقض الآيات ولا الأحاديث . ومقطع القول بعد هذا كله فى حديث الافك أنه كما قلنا فى كتاب الصديقة بنت الصديق « سخف لا يقبله إلا من يفترى بوشاية أو بغير وشاية ، وسواء فيه منافقو المدينة ومن يصنع صنيعهم من المؤرخين فى العصر الحاضر لأنهم لا يؤمنون بنبى الإسلام . بل هؤلاء أنذل وأغفل لأنهم يؤمنون بمريم والمسيح وكان عليهم أن يعصمهم عاصم من هذا الإيمان »

* * *

أما الأستاذ حسن الأمين حاكم النبطية فقد عقب على قولنا فى عبقرية الإمام أن أنصاره من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة وبين بنى هاشم على الأخص وبين قبائل العرب جميعاً على التعميم »

فأحصى فى تعقيبه أسماء القبائل العربية التى كان منها أناس فى جيش الإمام ، ثم قال : « بقى أن يكون ما عناه المؤلف اتباع الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه ، والإمام وغيره سواء فى هـذا الشأن ، فإذا كان فى اتباعه الفرس وغير الفرس فنى اتباع غيره الترك وغير الترك مثلاً ، وإذا شايعه غير العرب فقد شايعته كثرة من لباب العرب »

والقول الأخير هو الذى نخالف فيه الأستاذ الفاضل ، مع شكرنا إياه على جميل تحيته وكريم ثنائه

فالمقصود بالأنصار هم شيعة الإمام الذين يشايعونه خاصة ولا يشايعون غيره

إذ العرب الترك والأمم الأخرى التى شايعت كل خليفة فى زمانه ليسوا بأشياع ذلك الخليفة على التخصيص ، ولكنهم أشياع الدولة ومن يقوم عليها من الخلفاء واحداً بعد واحد ، وليسوا مع ذلك بأعداء لعلى كمداوة بعض الشيعة لمن ينازعهم الرأى فى حق الإمام وتقديمه على جميع الحقوق

ومتى كان هذا هو شرط الأنصار الذين يختص بهم الإمام ولا يختص بهم غيره فلا جدال فى كثرتهم بين العرب والشعوب الأخرى ، ورجحانهم على شيعة الإمام من العرب ولا سيما أقرب الناس إليه من بنى هاشم ومن قريش

وهذا موضع العبرة فى تلك الملاحظة :

موضعها أن الإمام قد ظفر بهؤلاء الأنصار ممن لا يشايعونه عصبيته ، لأنه قام بالأمر على الخلافة الدينية ، ولم يقم به على العصبية الجنسية أو النزعة الوطنية

وهذه هى الخصلة التى ينفرد بها الإمام بين الخلفاء من قديم وحديث ، فليس فى الأئمة جميعاً من كان الانتصار له مذهباً فى الدين ، وكان الدائنون بهذا المذهب أرجح عدداً من الدائنين به فى الشعوب العربية على اختلاف الأقطار ، فيما خلا الإمام

وليس بين الأئمة جميعاً من له نصراء فى الشعوب الأخرى يساوون نصراء على بين المسلمين من غير العرب ، سواء فى الزمن القديم أو الزمن الحديث

وهذا الذى عنيناه ، وهو جدير بالتقرير والتعليل

***

وربما استتبع الكلام فى هذه الكتب أن نشير إلى الذين ذكروها فقالوا عنها إنها لم تأت فى التاريخ الإسلامى بجديد

فإن كان الذى يعنونه بهذا القول أن موضوع الكتب ليس بجديد ، وأننا لم نخلق حوادث العصر النبوى ولا حوادث عصر الخلفاء ، فنحن معهم فيما يقولون

ولكن على هذا الاعتبار لا يوجد فى الدنيا ولن يوجد فيها أبداً كتاب جديد أو رأى جديد أو علم جديد

فالكيمياء الحديثة ليست بالجديدة ، لأن الأجسام التى هى موضوع الكيمياء اليوم وموضوعها بالأمس لم تخلق فى هـذا العصر ، ولم تزل على وصفها الذى رآه الأقدمون

والجغرافية الحديثة كذلك ليست بالجديدة ، لأن القارات والبحار والأنهار والكواكب والرياح والأمطار ليست من صنعة الجغرافيين المتأخرين ، وليس أحد منهم بأقدر على خلقها من الجغرافيين السابقين

وقل مثل ذلك فى علم الفلك وعلم الطبيعة وعلم الطب وعلم القانون وسائر العلوم والفنون

أما إن كان الذى يعنونه بقولهم إننا كررنا فى كتبنا ما تقدم فى كلام المؤرخين قبلنا فدون ذلك وتقصر الألسنة ، ودون ذلك ويفتح الله ثم يفتح الله . . . إنهم يقولون إذا أراحهم القول ، ولكن لن يريحهم يوماً أنهم مسموعون أو مصدَّقون !

عباس محمود العقاد

٢ – أغنية الرياح الأربع

لشاعر الحب والجمال على محمود طه

للأستاذ دريني خشبة

تنطلق الزوجة الحسناء داخل الحانة بَرِمة ، ثم يقبل البحارة ، فيأخذون فى هرج ومرج ، تزيدها النشوة ضجة واصطخاباً ، فإذا سألوا من صاحب الحانة وقدم لهم أرسطفان نفسه ، عبثوا به وضحكوا منه :

أنظر إلى وجهك في المرآة   وصف لنا عجيبة الحياة
من أى غاب يا وحيد القرن   وما اسمك الصحيح؟ لا تكنى

فيقول لهم : أرسطفان ... فيقول أحدهم

... عَلَمٌ منلوط   محتسه وشكله المضبوط
تنبيء عنهُ هذه الخيوط   أرسطفان أنت أخطبوط ! !

وهكذا يستغرق الجميع فى ضحك متصل ، تزيده القيان الحسان اللائى صحبن البحارة بهجة وإيناساً ومرحاً . ثم تأخذ إحداهن فى رقصة بارعة يدخل بعدها بطل الدرامة الرهيب « أزمردا » فيأخذ مكانه فى ناحية ، ويسود الحانة جو من الوجوم لا يفيقون منه إلا على إنشاد باتوزيس الذى يتغنى لهم قصة تلك الأشورية التى تعشقها فتى ملاح ، ووقع هو الآخر من نفسها فدعته إلى سفينتها وانطلقا يذرعان البحار عامين سعيدين حتى فرقت بينهما يد الأقدار حين نزل الفتى إلى الشاطئ للصيد فأتى قرصان فصاد حبيبته وذهب بها إلى حيث لا يدرى العاشق المسكين ... وروى أن هذه الحسناء قد تزوجت من بعض الآلهة فأنجبت منه (ربّات الرياح الأربع)

فإن سمعتم فى صدى الأمواج   أو لحن شاديكم
أغنية تهفو على الأثباج   حيرى تناديكم
فهى لها ، وهى تناديكم

فإذا سأله البحارة عن هذا القرصان الفاجر أين مقره ، قال باتوزيس إنه يجلس بينهم كواحد منهم .. معرّضاً بأزمردا ... أزمردا القرصان الهائل الذى دوّخ أطراف البحر ، وزلزلت سطوانه جزائر إيجة وشطئان مصر ، وأحرز من خطف الحسان ثروة طائلة وبأساً شديداً ... فيظن البحارة أن باتوزيس يمزح ، ثم ينصرفون من الحانة إلى ملذاتهم ومعهم حظاياهم بعد أن ينقدوا الخمار ثمن شرابهم ... ويقبل أرسطفان على الشاعر المصرى مسروراً باشاً لأنه كان روح هذه الليلة بشعره وغنائه وموسيقاه ، ويقدم إليه كأساً راوية فيأمر له (أزمردا) بأخرى ، ثم يأخذان فى حديث طويل نعرف منه أنهما كانا صديقين منذ زمن طويل يعملان فى البحر ثم افترقا ، وأن أزمردا يعمل الآن فى القرصنة والاتجار فى سوق الرقيق الأبيض ، ثم يعاتبه لتعريضه به بين أولئك السكارى ، وما غمزه به فى قصته التى رواها لهم ... ويحدثه باتوزيس حديث (ربات الرياح الأربع) الذى سمعه فى آخر زيارة له فى طيبة المصرية :

فتيات أربع يظهرن فى   كل عام صوراً مختلفات
رائحات يتخطرن على   هذه الأمواج مثل النسمات
فوق شط رمله من ذهب   لؤلؤى الماء درّى الحصاة
من يحزهن يحز ملك الثرى   ومقاليد البحار الطاغيات

فإذا جادله أزمردا فى أمرهن أكد له باتوزيس حقيقتهن ، فيعرض عليه أزمردا أن يعيش معه فى سفينته

تعال فى سفينتى وكن أخى وساعدى
وذقْ مباهج الحياة عذبة الموارد

ثم تسمع ضجة عند باب الحانة ، وتدخل جماعة من الشذاذ وعلى رأسهم زعيمهم أزبرو ومعه حظيتان من حظاياه لا تلبثان أن تخرجهما حميا الخمر عن رشدهما ، فتشاجر إحداهما الأخرى فيصفع أزبرو إحداهما ويطرحها أرضاً فينتصر لها أزمردا ويرفعها بيديه إلى كرسيها فتثور ثائرة أزبرو ويمتشق حسامه ليغمده فى صدر أزمردا ... فينتفض أزمردا كالأسد ، ويكشف عن نفسه ويضرب بسيفه سيف أزبرو فيكسره .. ويذهل الجميع حين يعرفون أنهم فى حضرة القرصان الأكبر ، وترتفع صيحة من جوانب الحانة يرددها الجميع مشدوهين :

أز ... مر ... دا

وينزل ستار الفصل الأول !

ويتألف الفصل الثاني من منظرين ... من أروع ما وصل إليه خيال شاعر — لا في مصر وحدها ، بل في الدنيا قاطبة ! وهكذا أقولها غير عابىء بجميع الابتسامات التي أراها الآن ترقص على شفاه الكثيرين من قرائي ، وعلى أرنبات أنوفهم !! ومن الخطر الأدبي تلخيص هذا الفصل . . . فهو وحدة فنية كاملة يجب ألا تشوه بالتلخيص . وحسبك أن تعلم أن سفينة أزمردا ترسى في ميناء رفح المصرية قبيل الشروق ، وأن أزمردا ينزل إلى الشاطىء وحده فيلاقي ربات الرياح الأربع يتواثبن راقصات على الرمال الناعمة ؛ فيغريهن بزيارة سفينته ويمنيهن الأماني ، فإذا طلبن إليه برهانه أبرز لإحداهن وهي حروازا ، ربة ريح الشرق ، ياقوتة حمراء تبهر العين وتذهب باللب ... ثم ينتصر بيان أزمردا ، فيرضين بزيارة سفينته آخر الأمر ...

ونرى في الفصل الثالث جانباً من سفينة أزمردا ؛ فهنا مخدع الشاعر باتوزيس ، حيث يوقظه العبد ماتوكا ويقدم إليه طعام الإفطار ، ويأخذ منه الشاعر في حديث عن حظوظ بني الإنسان ، ندرك منه أن ماتوكا لا يبغي بحياة الرق بدلاً

سفينتي هي الحياة والغد المؤمل
قد طاب لي في ظلها العيش وطاب المنزل
ومن كساء سيدي الربان هذا المخمل
ومن شرابه أعل هانئاً وأنهل
أي حياة لي من هذي الحياة أجمل ؟

وينصرف العبد ، ويدخل أزمردا إلى بهو مجاور وفي صحبته ربات الرياح الأربع فما يلبثن أن يوجسن خيفة ويستربن فتطمئنهم حروازا وتذكرهن أنهن آلهة ... ويمضي أزمردا ليخبر باتوزيس الذي لا يصدق إلا بعد لأي .... فإذا سأله عم يصنع بهن وهن آلهة ، قال :

أسخرهن قوى ينتظمن شراعيَ ما قادني مطمعُ
وأغزو بهن منيع الثغور وأجني الثراء وأستمتع

فيسأله باتوزيس : أتطمع في ملكوت السماء ؟ فيقول أزمردا ... أو يقول علي محمود طه ... بيته الخالد الذي هو أثمن من ديوان :

خلقنا غرائز منهومة فليست تروّى ولا تشبع !!

ويوشك باتوزيس أن يجن جنونه لهذا القرصان الجرىء المغامر الذي لا يبالي أن يخطف حتى الآلهة . فيثور على أزمردا ويثور أزمردا به ، فينطلق باتوزيس ، ويسمع أزمردا أصوات ربات الرياح الأربع فيقصد إليهن ليسري عنهن ، ثم يدخل ماتوكا العبد ليدعو سيده لتسكين ثائرة إحدى المخطوفات فيذهب معه ، ويبرز باتوزيس ، فإذا سألنه من هو قال :

لا وقت للسؤال من أنت هنا ومن أنا
أنتن في سفينة القرصان ، لا وقت لنا

ويخبرهن خبر أزمردا فيطمئنه ، ويدخل أزمردا متقلداً سيفه فيرى باتوزيس ويدرك أنه قد فضح سره فيهم بقتله لولا أن تحول الربات بينهما ويأخذن في السخرية بأزمردا ، نيهم بقتل باتوزيس ثانية فتمد حروازا ذراعها السحرية فيجمد الدم في عروق أزمردا ويسقط السيف من يده ، ثم يرجف بدنه رجفاً شديداً وتترورق عيناه بالدموع التي تخنق عبراتها صوته ويطلب الصفح على أن يكون خير عباد الله براً وصلاحاً واستقامة ، ثم ترق الربات له ويسمعن ضجة ، وإذا الحسناء التي كانت ثائرة بالداخل مقبلة ، فتلتفت إليها حروازا ويبطل سحر ذراعها فتدب الحياة في أزمردا الذي يتناول سيفه مرة ثانية ويهم بالغدرة مهدداً الربات وكل الحاضرين بالقتل ، فتمد حروازا ذراعها ثانية فيجمد الدم في عروق حروازا من جديد ، ويسقط السيف من يده ، ثم ترفع الربات أيديهن وينفخن ... فإذا ريح صرصر عاتية تحمل أزمردا فتقذف به في أعماق اليم

وبعد ... فهذا سحر وشعر وجمال وفن !

(يتبع) دريني خشبة

حكم في الجنحة العسكرية رقم ٥٠١ سنة ١٩٤٣ مركز ضد زينب علي سلام بالحبس ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه مع إيقاف التنفيذ لامتناعها عن بيع الشاي بالتسعيرة .

كتب وشخصيات

زهرة العمر ... : لتوفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

مدرسة توفيق الحكيم الفنية

رددت قبل أن أكتب « مدرسة توفيق الحكيم » فالواقع أن كلة « مدرسة » تعني في نفسي شيئاً كثيراً ؛ وليست هي مجرد الأسلوب الفني وطريقة التعبير ؛ إنما هي هذا وشيء آخر ، هي طريقة الإحساس والتفكير ؛ بل هي طريقة حياة حين تؤخذ بمعناها الواسع الأصيل .

وليس من الضروري أن يكون هناك أتباع وتلاميذ ، كي يتحقق معنى « المدرسة » ، فتلك مسألة تأتي مع الزمن ؛ إنما المهم أن توجد المعالم الواضحة المستقلة التي يلتقي عليها التلاميذ والأتباع حين يوجدون في زمن قريب أو بعيد .

هذه المعالم هي سمات إنسانية وفكرية ونفسية تجتمع أصولها لتلاميذ المدرسة الواحدة ثم تفترق ألوانها وأنماطها حسب الأمزجة الخاصة والملكات الفردية . وتتبعها طريقة التعبير ، أي الأسلوب الفني الجامع لتلك السمات .

فهل نستطيع بعد هذا البيان أن نقول : إن لتوفيق الحكيم مدرسة ؟

نعم نستطيع ! ولكننا نحتاج بعدها إلى التحفظات المحددة لحقيقة ما نعنيه . فتوفيق صاحب أسلوب فني واضح السمات — هذا ما لا جدال فيه — وهو كذلك صاحب طريقة في الإحساس والتفكير ، ولكن هذه الطريقة ترجع إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي ، أكثر مما ترجع الطبيعة العامة

وهذا كلام يحتاج إلى التوضيح !

يجنح توفيق الحكيم إلى أن يعيش في داخل نفسه أكثر مما يعيش في خارجها ، فلا تهمه الحياة المنطلقة في الخارج كما تهمه الحياة التي يصورها خياله كما يريد ، وهنا تولد وتعيش تلك المخلوقات الفنية التي رسمها على هواه من أمثال شهرزاد وشهريار وبيجماليون وعنان ومختار ... الخ .

فما منشأ هذا ؟ منشؤه هو إشفاق توفيق من الحياة ، وضعف الحيوية في كيانه الجسدي . وقد يكون هذا الضعف علة ذلك الإشفاق ، ولكن مما لا شك فيه أن هناك أسباباً أخرى في نشأته الأولى ، يمكن أن يقف عليها من يقرأ كتابه « عودة الروح » ، وإلا فالضعف الجسدي كثيراً ما يكون سبب دفعة حيوية في الفكر ، كما في « نيتشة » مثلاً

وليس بنا في هذا المقال القصير أن نقوم بدراسة جسدية ونفسية ؛ ولكن حسبنا أن نشير إلى هذه الأسباب لتوضيح ما قلناه من أن طريقة توفيق في الإحساس والتفكير مردها إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي .

فالذين يشبهون هذا الفنان في مزاجه وتكوينه هم الذين سيكونون أتباعه وتلاميذه في هذه الحياة الفكرية الباطنة التي ترسم الشخوص رسماً فنياً خاصاً . ولا بد لكل فنان من قسط من هذه الحياة الباطنة بنقص أو زيد . ولكن يبقى أن يوهب هؤلاء التلاميذ — كما وهب — أسلوباً قوياً فنياً في التعبير ، وأداة فنية ناضجة في الحوار ، ليكونوا تلاميذ حقيقيين . وهو ما لم يوجد بعد ، على الرغم من المقلدين الكثيرين في مصر وفي بلاد الشرق العربي الذين حسبوا الحوار هو كل موهبة توفيق الحكيم ، وحسبوا استيحاء الأساطير هو كل ما يميزه بين الفنانين !

نعم إن الطاقة محدودة ، وقد يأتي — في هذا المجال — من هو أكبر طاقة وأبعد غوراً من توفيق الحكيم ؛ ولكن سيبقى له فضل السبق ، وابتداع الطريقة وإكمال الأداة

في هذه الحدود نستطيع أن نقول : إن لتوفيق الحكيم مدرسة ؛ ولكننا نعود فنرد إليه حقه كاملاً حين نثبت له النضوج الكامل في أسلوبه الفني عامة والقوة البارعة في حواره على وجه الخصوص . هنا موهبة متفردة لا شك فيها ، مهما قيل في الطاقة التي يعمل بها وفي الموضوعات والفكر التي يتناولها

***

وبعد فما العنوان الذى يمكن أن نضمه لتلك المدرسة أو لهذه الطريقة ؟

هو عنوان « التنسيق الفنى »

يقول توفيق الحكيم فى إحدى رسائله إلى « أندريه » فى كتابه « زهرة العمر »

« إن فن الإغريق هو تجميل الطبيعة إلى حد إشعارها بنقصها ... لكأنهم يريدون أن يقولوا للطبيعة : أنظرى ... كان ينبغي أن تصنعى هكذا ! ... »

ثم يقول : « إن فن مصر القديمة هو تحد صارخ للطبيعة ؛ فكأنهم يقولون للطبيعة انظرى.. لاشأن لنا بك ولا بمخلوقاتك، إننا نستطيع من مخيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى غريبة عجيبة لم تخطر لك على بال ... » .

ويخيل إلىّ أن فن توفيق الحكيم هو تنسيق للطبيعة وتهذيب ، بالنقص هنا وبالزيادة هناك ، حتى يستوى له خلق فيه من الطبيعة مشابه ولكنه منسق على نحو خاص يرضى مزاجه الفنى الذى يجد مجاله في مخلوقات الفن المنسقة على طراز مطلوب... وكأنه يقول للطبيعة : إنك فى منتصف الطريق ، ولا تزالين تخلطين بين الجمال والقبح وبين الرذيلة والفضيلة وبين الفكر والغريزة ... إلى آخر هذه الأمشاج ؛ فدونك مخلوقات أخرى مصفاة على نحو خاص ، ذات اتجاه موحد لا اضطراب فيه ولا اختلاط ... ! »

وهذه المخلوقات التوفيقية يتفق لبعضها الجمال الفنى فيغنيها عن جمال الحيوية ويضعها أنداداً مقابلة لمخلوقات الطبيعة ؛ ويخطئ بعضها التوفيق فتبدو باردة هامدة ، ولكنها لا تهبط إلى الموت أو الابتذال

وهنا نجدنا ملزمين بأن نرد لتوفيق حقه مرة أخرى فننص على أن هذا الاتجاه لا يستغرق جميع أعماله ؛ فهناك أعمال تنبض بالحياة الطبيعيه والحركة الحيوية — على نحو من الأنحاء — كيوميات نائب فى الأرياف ، ورصاصة فى القلب ، وعودة الروح، والزمار ، والعوالم ، وراقصة المعبد، وعصفور من الشرق ؛ وهى تؤلف جانباً كبيراً من أعماله الفنية المطبوعة بطابعه الخاص

وفى بعض هذه الأعمال تتهيأ الحبكة الفنية والحركة الحيوية ، إلى جانب الدعابة الفكهة والسخرية العميقة . وبخاصة « يوميات نائب فى الأرياف والزمار » وفيهما معالم واضحة للفن القوى المنشود !

ثم نعود إلى اصطلاح « التنسيق الفنى » الذى جعلناه عنواناً لمدرسة توفيق الحكيم فنقول : إننا نعنى به معنى آخر بجانب « تنسيق الشخصيات » نعنى به معنى فى طريقة العرض ، فى الأسلوب الذى تعرض به الشخصيات والحوادث والأفكار ، فهذه الطريقة موحدة سواء كان المعروض قصة أو تمثيلية أو فكرة فى مقالة . ولسنا نعنى به ما يعبرون عنه بالحبكة ، فهو أوسع من ذلك مدى . إنه « التصميم الهندسى » للعمل الفنى كله ، بحيث يبدو متساوقاً منسقاً مطرداً ، وبحيث يتهيأ هذا العمل الفنى كله فى ذهن الفنان قبل أن يبدأ اللمسة الأولى ، كما يضع المهندس تصميم مشروع كامل من المشروعات ، ثم ينفذه بعد ذلك حسب التصميم . وما قرأت عملاً من أعمال توفيق إلا كان هذا « التصميم الهندسى » واضحاً فيه كل الوضوح

ولعل أوضح ما يوضح ذلك هو « زهرة العمر » . فهذا كتاب مكون من مجموعة رسائل إلى صديقه أندريه ؛ وليس مطلوباً فى « رسائل » متفرقة أن تؤلف موضوعاً متناسقاً . فإذا هى كانت كذلك ، كان هذا دليلاً على أصالة ملكة « التنسيق الفنى » ، وظهورها حيث لا يرتقب منها الظهور

وتقرأ هذه الرسائل فى تتابع فتلحظ عملية التنسيق الداخلى ، وتحس شيئاً فشيئاً أنك أمام قصة : قصة مخلوق حقيقى أو روائى ، يسير فى الحياة وكأن يداً خفية تسوقه إلى مصير مرسوم ، وكلما أراد لنفسه أو أراد له أهله أو أرادت له ظروفه أن يحيد عن هذا المصير ردته هذه اليد الخفية إلى طريقه المرسوم !

شاب يريد له أهله الوظيفة بعد الليسانس فلا يوفقون ، ويبعثون به إلى أوربا للحصول على الدكتوراه ، فيجاهد فى سبيلها بما يستطيع — بعد أن يغرق فى الدراسات الفنية إلى أذنيه — ولكن تخونه ذاكرته فى الامتحان ، وتقيض له الحياة متع المرأة الحية جيماً — مع ساشا الجميلة وسوأها — فيمل هذا المتاع ويتعلق بالمرأة الأخرى التى طردته من جنتها بعد أسبوعين

وتركته يتعذب ويتلظى (لأن تملقه بها جزء فى الطريق المرسوم طريق الفن الملون) ويعود فيوظف وينجح فى وظيفته ويأخذ أهله أو يأخذ المجتمع فى تكبيله بقيد النجاح العملى ثم بقيد الزواج ... وهنا يستجمع المؤلف كل قوته الروائية فى المشهد الأخير وهو يستعد للوثبة النهائية وللخلاص من جميع القيود ؛ فيجمع هذه القيود فى مشهد واحد فى الرسالة الأخيرة ، قيد الوظيفه على أتمه ، وقيد الزوجية فى إبانه ، وقيد المجتمع فى احتقار الفنون ؛ وفى اللحظة نفسها يبدو كأنه نضج للفن واهتدى إلى سره وأمسك بالأسلوب الذى طال بحثه عنه ... ثم يسدل الستار بين الهتاف والتصفيق ! وبطل القصة أشبه بأبطال الروايات ، بل هو أشبه ما يكون « بيجماليون » !

هذا تنسيق يدل على أصالة فى فن التنسيق ، وهو ظاهرة ملحوظة فى « زهرة العمر » كل الظهور . وهى كذلك ملحوظة فى «يوميات نائب فى الأرياف» يمثل هذا الوضوح . وقد اخترت هذين العملين لأنهما ليسا قصة وليسا تمثيلية . فإذا توافر لهما هذا التناسق الكامل ، فما أولى القصص والتمثيليات بأن يتوافر لها من أيسر سبيل . وفى « زهرة العمر » رسائل تحوى كل منهما قصة صغيرة كاملة مثل « قصته مع ساشا » يبدو فيها التناسق فى أعلى مستواه

ومعنى ثالث نعنيه « بالتنسيق الفنى » هو إحالة الحوادث والملاحظات إلى مواد فنية خامة فى « الاستوديو » الدائب العمل ! فالناس يعيشون الحياة وتوفيق الحكيم يشفق أن يعيشها وينزوى عنها مرتداً إلى نفسه ليحولها إلى عمل فنى هناك ، وكلما لحظت عينه أو نفسه مشهداً من مشاهدها لم يكن همه أن يستمتع بهذا المشهد وأن يزاوله ويضطرب فيه ، ولكن كان همه التقاطه لأنه مادة صالحة « للاستوديو » الأمين ! ومرد ذلك إلى مزاجه وتكوينه كما سلف . وكثيراً ما يكون انحراف المزاج مزية للفنان الذى يعرف كيف يحيل كل ما يصادفه إلى مادة فنية . وتوفيق من هذا القبيل . وقصة « ساشا » فى « زهرة العمر » من الأمثلة على ما نقول . وغلطة هذا المزاج هى اعتبار الفن مقابلاً للحياة لا متفاعلاً مع الحياة ؛ ولكن ليس من الضرورى أن توافق توفيق فى مزاجه لتستسيغ فنه فقد تخالفه فى الرأى والإحساس ، ولكنك تجد المتعة فى الأثر الناشئ عنهما فى الفنون

* * *

ثم نخلص إلى الحديث الخاص عن « زهرة العمر » فما قيمة هذا العمل الأخير ؟ إن هذا الكتاب يستمد قيمته التى ترفعه إلى مستوى أحسن أعمال توفيق الحكيم من ثلاثة أصول

من اللهجة الإنسانية الأليفة التى صيغت بها معظم الرسائل من الألم والشك والجهاد والقلق والاضطراب والتذبذب المستمر بين الحالات النفسية المختلفة ... هذه اللهجة التى تعقد أواصر الصداقة بين المؤلف وبين القارئ ، وتشعرهما معاً أن بينهما صلة إنسانية ، وأن الإنسان ضعيف أمام القوى الخفية التى تسيطر على أقدار الناس وخطواتهم فى هذا الكون الكبير !

ومن « التنسيق الفنى » الذى يجعل من هذه الرسائل الواقعية وحدة مطردة فى سياق روائى ، والواقع حين يكتسب التنسيق الروائى تجتمع له بساطة الصدق وجمال الفن ، وهذا واضح فى « زهرة العمر » لمن يقرؤه متنبهاً إلى التنسيق الفنى الخفى الملحوظ !

ومن البيان الحى لمرحلة التكوين الفنى الصحيح ، حتى ليصح أن يطلق على الكتاب « سفر التكوين » . فالطريق إلى النضوج الفنى طويل ، ووعر ، وملىء بالأشواك ، والفن عسير ، والذى يثبت إلى النهاية هو الذى يحق له أن يتطلع إلى النجاح بعد الجهد الجهيد ... هذه خلاصة ما يشير إليه المؤلف فى « زهرة العمر » وبدلاً من أن يلقيه نصائح وعظات ، عرضه مصوراً فى حياة إنسانية ، فكان أقرب إلى النفوس

وإذا اجتمعت هذه المزايا الثلاث لعمل أدبى كانت حسبه ليعد عملاً فنياً ذا قيمة . ولكنها لا تجتمع وحدها فى هذا الكتاب ، فهناك الومضات الفكرية والإشعاعات الشاعرية التى لا بد منها لكل عمل حتى تسلكه فى عالم الفنون

وعيب هذه المقالات المحدودة المجال أنها لا تتسع للنموذج والمثال ، فليعد القارئ إلى أعمال توفيق الحكيم وبيده هذا المفتاح الذى قصرنا عليه المقال !

(حلوان) سيد قطب

الهوى تحت النجوم

للأستاذ صلاح الدين المنجد

(نَشْوَى) يا حبيبتى الجميلة !
يا فراشة مزركشة فرّت من الفردوس
يا قطرة ندى تتأرجح حالمة فوق ورق الورد
أنظرى ! فالنجوم الزُّهر يسبحن فى البحر ، كالحسان يتغامزن ويتضاحكن ، ويتراشقن بالنور والسناء
وعبدُنا الزنجى يختلس إليهن النظرات
ووادينا يضحك بالأنس ، ويندى من العطر ، ويشرق بالضياء !
والنسمات رشيقات يرفرفن كالعصافير ، ويقبلن الأزاهير !
فاقتربى ، نلذ الهناءة والنعيم
لعلك ترأبين الصدع ، وتواسين الجرح ، وتخففين الهموم
اقتربى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !
نشوَى يا عبقةَ الروض الجنى ، وحُلُمَ العمر السعيد

***

شفتاك ذابلتان ، ونداهما فى شفتى
عيناك فاترتان ، والهوى فى مُقلتى
أرأيتِ عصفور الحقول ، يغدو مع الفجر الضحوك ، ليسرق القوت الهنى
إن شئتِ كنتُ اليوم عصفور الحقول
وقطفتُ من فمك الشهى زهر الثغور
لهّابة كالنار ، تحيى الهوى ، تنسى الهموم .
اسمعى همسات الزمان اسمعى
تعالى نجعل هوانا دماً كزهراته ، أخضر رفافاً كورقاته ، متصلاً كالليالى والأيام ، ناعماً كترانيم الحمام ، صافياً كدموع الغمام
اقتربى ، فعبدنا الزنجى يحرس الوادى ، ويرعى الجبال
والهوى حلو الجنى ، فى ليلك المطرىّ يا ذات الدلال

***

نشوى ! يا حُلماً زوّقته بالفتون
ودميةً صنعتُها من الوهم والظنون
لِمَ يشحب الوجهُ البهىّ ، ويَرْعش الثغر الشهىّ ، إذا رأيتنى ؟
مالك مرعوبة يانشوى ؟
أهذا حفيف الصنوبر الحزين ، فى الغاب ، أم آهات صدرك ؟
وتلك ومضات البرق الجريح ، فوقنا ، أم خفقات قلبك ؟
لقد تمنينا المنى حتى مللناها
فتعالى نسحقها بالوصال ، ونقتل الخوف باللقاء ، فنصبح أقوياء ، كالظفر ، بسامين كالنور ، تياهين كالأبطال
اقتربى
فياهناء من ارتوى من حبه تحت النجوم !

***

اذكرى ليلة الكرم يانشوى
ليلة كنا نعد النجوم
وكلما قلتِ هذى نجمة
قلتُ هذى قبلة
وضممتُك إلى صدرى ، ورويّتك من حبى
لقد كنت ترعشين بين ذراعىّ وتبسمين ، وتتلهين عن قُبلى وتحلمين
وكان قلبى يعربد تارة ويرتجف ساعة
فهمست فى أذنك الرهيفة : « سيبقى حبنا متوقداً كهذه النجوم يانشوى ، فإذا غيّبنى الثرى يوماً ، فاذكرى حبى إذا زرتِ الكروم ، واذكرى قبلى إذا رنوت إلى النجوم »
فترقرقت فى عينيك الدموع ، وقلتِ : « سأذكر حبك ، وقبلك ، كلما نظرت إلى النجوم أو وطئت الكروم »
فمالك الليلة صامتة يانشوى ؟
لا ترعبى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !

***

أين قلبك الشارد يانشوى ؟
أيضل ، وهنا يرف النور ؟
اقتربى ، ويحك اقتربى
عمرنا شعلة ، الفجر يطفئها
وهوانا ومضة ، القبر يرعشها
فلِمَ تبكين وبم تحلمين ؟
اقتربى نلذ لذة عاصفة ، فنطيش بها كالفراش بين الزهور ، ثم نلفظ الروح ، ونرتمى كالصدفات الفارغة ، على حفافى النهور
يا هناء من ارتوى من حبه تحت النجوم !

(القاهرة) صلاح الدين المنجد

دراسة ومقارنة

الطبيعـــــة توحى والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الطبيعة مصـدر إلهام عظيم فى الأدب ، وللشعر فيها مجال فسيح . افتن بها الشعراء ، وتردد إليها الملهمون من أهل الفنون ، فوجدوا بين أحضانها منفسحاً من القول ومتسعاً من الكلام . ووجدوا فى مختلف مظاهرها صوراً تستحق التسجيل ؛ فانتضوا أقلامهم ، وجردوا ريشتهم ، يجمعون الألوان من هناك وهناك . ويؤلفون بين الظلال ، ويواءمون بين الأضواء ، ويخرجون من ذلك لوحات شعرية تمتاز من لوحات المصريين .

ولا شك أن اللوحة التى يخرجها الشاعر الموهوب يكون فيها من صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الأحساس ما لا يكون فى لوحة يخرجها رسام أو مصور .

ولقد أولع الشعراء من قديم بالطبيعة ؛ فأووا إليها وصوروها فى شعرهم تارة باسمة ، وأخرى عابسة ساخطة . ووصفوها على اختلاف الحالين كما فعل هوميروس فى الإلياذة ، فلم يجعلها ملحمة فقط للحروب والغارات ؛ ولكنها كانت معرضاً لألوان شتى من الطبيعة .

ولم يغفل شعراء العرب فى الجاهلية وصف الطبيعة ؛ ولكن اللوحات التى خلفوها لنا ليست من التنوع والكثرة وخصب الألوان وغناها بحيث تستحق أن نطيل الوقوف عندها والتحدث عنها . ولكنها على كل حال لوحات صادقة التصوير لتلك البيئة .

ولو قد أطال الشاعر الجاهلى تأملاته إلى الطبيعة ، وأمعن التفكير فى ظواهرها ، وعود نفسه السكون إليها والأنس بها والتحديق فيها لأخرج لنا صوراً رائعة من تلك الفيافى الممتدة ، والرمال المتناثرة والصخور العارية ، كما فعل الشاعر « توماس هاردى » فى بعض قصصه وفى كثير من أشعاره . فقد صور منطقة « المور » فى جنوبى انجلترا تصويراً صادقاً ؛ وهى إقليم مملوء بالصخور الموحشة ، والأشواك الجافة ، والوحشة الرهيبة . ولكن ريشة « هاردى » استطاعت أن تقلب وحشة هذا الإقليم أنساً ، وأن تخرج من تلك الطبيعة الجافة الخشنة ألواناً تعجب النفس . ولهذا تهافت السياح والزوار على مشاهدة هـذا الإقليم بعد ما قرءوا رواية هاردى التى عنوانها « عودة المواطن »

وقد ترتبط ذكريات خاصة ببعض الأمكنة أو ما دار فيهـا من حوادث ، ويحن إلى الماضى الذى انطوى فى غبار اليوم ، كما فعل « امرؤ القيس » فى يوم الغدير بدارة جلجل . فقد أشار إلى ذلك فى بيت واحد من معلقته التى تبلغ الثمانين بيتاً . والبيت هو :

ألا رُبَّ يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل

وكان حق امرىء القيس أن يقف طويلاً عند هذا الغدير ، لا أن يمر عليه مروراً عابراً سريعاً ؛ ولكن شاعراً فرنسياً كان له مثل هذا الموقف فصنع قصيدة عنوانها « البحيرة » . والبحيرة هى بحيرة لمان بسويسرا ، والشاعر هو « لامارتين »

والبحيرات والغُدُر والبرك كانت وحياً وإلهاما للشعراء فى كل أمة وجيل ؛ فامرؤ القيس يشير إشارة سريعة إلى دارة جلجل وغديرها ؛ والبحترى يصف بركة المتوكل على الله العباسى فى قصيدة واحدة ، ويطول فيها نفسه ويجود فيها وصفه ، فيقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة ... كالخيل خارجة من حبل مجريها
فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها ... وريِّق الغيث أحياناً يباكيها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها ... ليلا حسبت سماء ركبت فيها

والسرىُّ الرفاء الموصلى الذى خرج من الموصل إلى حلب واتصـل بسيف الدولة بن حمدان له شعر جميل فى وصف الغدر والبرك والمياه . وقلَّ أن تجد لشاعر عربى ما للسرى من الشعر فى البحيرات كثرةً وإجادةً .

ولعبد الله بن المعتز الشاعر الحسن التشبيه الكثير الوصف شعر فى البحيرات ، إلا أن الصنعة تغلب عليه وتمحُّل التشبيه يلوح فيه . ولو أنه أطلق الوصف على سجيته ، وأرسله على فطرته لكان شعراً تصويرياً للطبيعة التى أولع ابن المعتز بتصوير كثير من مظاهرها . فإذا سمعته يقول :

غـدير ترجرج أمواجـه هبوب الرياح ومر الصَّبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمتـه جوشـنا مذهبا

بدا لك أثر الصنعة . وأين هذا من قول البحترى فى المعنى نفسه :

كأنها الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجرى فى مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حُبُكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

* * *

ولقد أوحت بحيرات سويسرا الجميلة إلى كثيرين من الشعراء أمثال « لامارتين الفرنسى » « واللورد بيرون » « وشيلى » الإنجليزيين . واللورد بيرون له فى رحلته الأولى إلى جنوبى أوربا أشعار طبعها ما بين سنتى ١٨١٢ ، ١٨١٨ . وفيها إشارات جميلة إلى ذكرياته السعيدة على بحيرات سويسرة

وفى هذه المناسبة أستطيع أن أذكر اسم الكاتب الأمريكى « هنرى دافيد ثورو » الذى نزح من المدينة الصاخبة سنة ١٨٤٥ إلى غدير (والدن) وغابته الفيحاء ؛ ووجد فى زقزقة الطيور ، وطنين الحشرات ، وخرير المياه وحفيف الشجر أنساً لنفسه الظامئة إلى رحيق الطبيعة . وله فى ذلك كتاب اسمه « والدن » "The Walden" كتبه بالنثر إلا إنه يفيض بالشعور والأحاسيس والفناء الكلى فى الطبيعة وتقديسها كما تقدس الآلهة

ولا تجد شاعراً – فيما نعرف من الأدب العربى والإنجليزى والفرنسى – أعطى من نفسه وشعره للبحيرات والغدر ومساقط المياه ما أعطاه الشاعر الإنجليزى « وليام وردسورث » لمنطقة البحيرات الإنجليزية المعروفة باسم Lake District

كان « وردسورث » شاعر الطبيعة فى أى مظهر من مظاهرها ، وكان يعتقد أن الطبيعة تحمى الإنسان من الشرور ، وتجعل الخير أليفاً عنده حبيباً لديه ، كما أشار إلى ذلك فى ديوانه المعروف « الفاتحة » Prelude . ولهذا قضى حياته جوالاً فى منازه أوربا وانجلترا . وعاش فى قرية « جراسمير » بين البحيرات الإنجليزية التى ألهمته ديوانه المعروف باسم « شعر البحيرات » ودفن هنـاك فى الأرض التى ألهمته ، وأوحت إليه أسرار جمالها . وقد أتيح لى أن أزور قبره وقبر شقيقته فى تلك البقعة الجميلة الهادئة من بقاع شمالى انجلترا

ومنطقة البحيرات الإنجليزية مدينة فى التعريف بجمالها للكاتب النقاد « جون رسكين » الذى أدرك « وردسورث » وعاش بعده زماناً ؛ فقد أبان للإنجليز جمال هذه المنطقة مما جعل أغنياءهم يشدون إليها الرحال بدلاً من زيارة بحيرات سويسرة . ولهذا أقام له الإنجليز فى تلك المنطقة تمثالاً اعترافاً بفضله ووفاء لحقه

* * *

أما وصف السماء والنجوم والسحاب والمطر والرعد والبرق والليل ، فقد ورد كثيراً فى شعر العرب . وهو وصف مجرد لا تمسه عاطفة ، ولا تدخله خوالج النفس ولا هزات الحسّ . ولكنه على كل حال تصوير صادق ، كثير الإحاطة للتفاصيل . ومن فرسان هـذا الميدان ابن خفاجة الأندلسى والسرى الرفاء الموصلى وأبو تمام الذى أكثر من وصف الغيث والسحاب ، وابن الرومى ، وابن المعتز الذى يقول فى وصف سحابة

وموقرة بثقل المـاء جاءت تهادى فوق أعناق الرياح
كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عقد الصباح
رياض بنفسج خضـل نداه تفتح بينـه نَوْر الأقاحى

ولأبى تمام هذه الأبيات الرائعة فى وصف الغيث :

لما بدت للأرض من قريب تشوقت لو بلها المسكوب
تشـوق المريض للطبيب وطـرب المحب للحبيب
وفرحـة الأديب بالأديب وخيمت صادقة الشـؤبوب
فقام فيها الرعد كالخطيب وحنت الريح حنـين النوب
والشمس ذات حاجب محجوب قد غربت من غير ما غروب
والأرض من ردائها القشيب فى زاهر من نبتها رطيب

ومن شعراء الإنجليز فى هذا الباب « شيلى » وله قصيدة عنوانها « إلى الليل » ، وهى من "نوع العاطفى ؛ والشاعر « جراى » وله « أغنية الربيع » ، والشاعر « كيتس » وله « أغنية الخريف » ، والشاعر « كامبل » وله « أغنية الشتاء » . وهو شعر يذكرنا بما قاله البحترى فى وصف الليل والربيع .

ويذكرنا كذلك بقصائد رائعة للسرى الرفاء وأبى تمام والبحترى وابن الرومى فى وصف الربيع والخريف والشتاء والسحاب ، وهو شعر منثور فى مواضع من دواوينهم ومن السهل الرجوع إليه .

أما البحر ذلك الخضم الواسع الذى يقصر الطرف عن إدراك مداه ، وتعجز السنون عن سبر أغواره ، فقد كان له من الشعر العربى نصيب ، إلا أنه ضئيل ، وقد أشار إليه امرؤ القيس إشارة عابرة فى معلقته وهو يشبه الليل بموجه ، كما وصفه ابن خفاجة الأندلسى بثلاثة أبيات . ووصفه الشاعر الأندلسى يحيى ابن الحكم البكرى المشهور بالغزال فى قصيدة طويلة قالها يصف رحلته إلى القسطنطينية موفداً من قبل الخليفة عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام سنة ٢٢٥ هـ إلى قيصر أمبراطور الروم فى مهمة سياسية ، والقصيدة لطيفة البحر والتصور ، ومنها :

قال لى يحيى وصرنا بين موج كالجبال
وتولتنا رياح من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتت عرى تلك الحبال
وتمطى ملك المو ت إلينا عن حيال
فرأينا الموت رأى الـ مين حالاً بعد حال

ولم يذكر نفح « الطيب » من القصيدة إلا أحد عشر بيتاً اخترنا منها هذه الخمسة . وهى فى الجزء الأول ص ٤٤٤

وللدكتور جورج صوايا من شعراء المهجر فى أمريكا الجنوبية قصيدة فى البحر المتوسط تجدها فى الصفحة التاسعة وما بعدها من ديوانه « همس الشاعر » المطبوع فى « بونس أيرس » ألا إنها ضعيفة الصياغة ، على الرغم من حفولها ببعض المعانى التى توحيها وقفة أمام هذا البحر الذى شهد ازدهار حضارات ومصارع دولات

وأحجم شاعر أو — ناظم — عن ركوب البحر خشية أن يذوب فيه ، لأنه من طين ...! ولكن شوقى وحافظ ركبا البحر ووصفاه . ولحافظ رائيته التى مطلعها :

عاصف يرتمى وبحر يغير أنا بالله منهما مستجير

ألا إن ذلك قليل على الشعر العربى ، وأين ذلك من قصيدة « وردسورث » التى عنوانها « على شاطىء البحر » ؟

أما الرياض والأشجار والأزهار ، فلم يترك شعراء العرب نوعاً منها إلا وصفوه ، فابن خفاجة له فى شجر النارنج والأراك والريحان شعر كثير . والسرى الرفاء له شعر كثير جداً فى وصف الرياض والبساتين والنرجس وشجر الليمون وزهر السوسن والورد وشقائق النعمان والأترج والنخيل ورياض الموصل ومتنزهات الشام

وتلك ناحية فى الشعر العربى تذكرنا بشعر « هريك » فى النوار والبراعم ، وبقصيدته الفاتنة فى زهرة « الدافودلس » التى يفتتحها ويختتمها بهذين البيتين :

أيتها الزهرة الجميلة ! نحن نبكى لأن نراك
تسرعين الخطوات إلى الذبول
مثل أمطار الصيف أو قطرات الندى
التى تمضى إلى غير رجوع

كما تذكرنا بقصيدة « مارفل » الإنجليزى التى عنوانها «أفكار فى حديقة »

ولقد أخذ الشعور بوصف الطبيعة يزداد عند نفر من شعراء الشرق ، وشاع عند شعراء الغرب ؛ وظهرت الطبيعة مجلوة فى شعر أمثال ابن خفاجة وابن حديس وابن جهور وابن زيدون وابن عبدون وابن سهل . وهذا الأخير كان يمزج فى شعره بين وصف الطبيعة ووصف العواطف وخلجات النفس كما يفعل الفرنسيون أمثال : هوجو ، ولامارتين ، والكونت دى ليل ، وألفريد دى موسيه . ولكن الفرق بعيد ..

ولقد ظهر فى مصر فى أيامنا هذه (الشاعر الهمشرى) ، الذى عنى بتصور الطبيعة المصرية فى مختلف صورها . تسمع وترى وتحس وتشم فى شعره كل شىء فى الطبيعة ، حتى رائحة الكلأ . وكان يرجى له فى هذا الباب مجال ، وتناط به آمال لولا أن الموت عاجله وهو نضير الشباب

ولعل قراء العربية يجدون فى شاعر آخر « شاعر البرارى » مثالاً لشاعر الطبيعة المصرية البحت الذى يغنى على قيثارتها فى كل مكان ..

محمد عبد الغنى حسن

شلي

[سيبقى شعرك ينبوع الأرواح الظامئة ، لأنك روح ظامئ]

للأستاذ محي الدين السامرائي

بعض العباقرة لا نكاد نفهمهم الفهم الدقيق النافذ ، إلا إذا فهمنا أطوار حيواتهم فنربطها بتجاربهم الميتافيزقية الخفية ، والاختلاجات النفسية ، لندرك ما وراء الحس في حياة كل عبقري من صدام وصراع.

وشلي أحد أولئك الذين تعيننا ترجماتهم على كشف البواعث والولائد في أطباق نفوسهم القصية إذا ما أراد أحدنا درس واحد منهم دراسة عميقة ، يقوم أساسها على الفهم الحي للعنصر الوجداني الدفين المستتر في قرارة كل نفس ، ليخرجه إلى عالم النور

وإذاً ، فقد ولد هذا العبقري الثائر في الرابع من أغسطس عام ١٧٩٢ في ورشهام ، بين الأحراج النضرة والمراعي الجميلة ؛ فنشأ في أحضان الطبيعة القروية الساذجة ، فاستشف مكامن الروعة من الكون بعينين ناعستين « كأنما أثقلهما وسن حالم عميق » ، كما يقول أحد نقاده المعاصرين . ثم سافر حدثاً ليلتحق بكلية (إتون) باكسفورد ، فبرم من تقاليدها المدرسية الرتيبة[1] ، وحاول مراراً التخلص منها ، ولكن إرادة والده حالت دون ذلك ؛ إلى أن نشر رسالة عن « ضرورة الإلحاد » وذلك عام ١٨١١ ، هاجم فيها العقائد والأديان ، وسخر من جميع المثل السائدة في عصره ، وبشّر بضرورة تحطيم اللاهوت المسيحي وبحجته ؛ فما كان من الجامعة إلا أن أقصته عنها ، فغادرها وفي نفسه حزٌّ عميق من السخرية والسخط اللذين أثارها بيديه من الأساتذة ورفاقه الطلاب . وهنا فعل الكبت فعله العجيب في مطاوي هذه النفس الحساسة النزوع . ومنذ هذا الوقت مضى طليقاً ينظم الشعر ويقرأ الميثولوجيا اليونانية والآثار الكلاسيكية ، ولا سيما أفلاطونَ وأسخيلوسَ اللذين أعجب بهما كثيراً ، وصاحبهما طوال حياته ؛ فأشربت روحه هذه الثقافة الحية المفعمة بدوافع الفن والحياة . وبقي يتنقل بين أقطار أوربا بعد أن ودع انجلترا إلى غير رجعة ، حتى وطئت قدماه أرض إيطاليا الجميلة ، فاتخذها مقراً له ، بصحبة زوجه ابنة الفيلسوف الإنجليزي وليم كودون ؛ وهنالك استكمل تكوينه الفني المدهش فبقي يبدع الروائع الشعرية السامية دراكاً حتى وافته المنية غريقاً في ليجهورن على شاطئ سبيزا وذلك في الثامن من (يولية) عام ١٨٢٢ وقيل بل مات منتحراً أثر اضطراب نفساني أصابه ، يأساً من حياته المترعة بالآلام والأوصاب . فأحرقت جثته في حضرة صديقه العظيم بيرون ، ودفنت بقاياه ، حيث كتب على قبره باللاتينية : « هنا يرقد قلب القلوب الشاعر بيرسي بيش شلي » وفي أسفل منها بيت من شعره يقول : «لقد عاش ومات وغنى وحيداً ».

وهكذا انتهت حياة هذا الشاعر المتوحد الغريب بفاجعة من أعنف الفواجع التي عرفها تاريخ الأدب الحديث

***

ما كان شلي ممن يأخذ بدخيلات عصره ، وتوافه بيئته ؛ فقد عاش ما عاش هائماً في أجواء نفسه ، وأقطار أوهامه ، « مأخوذاً بالسماء الكوكبية الساطعة بالأنوار » وبكل مظهر من مظاهر هذا الوجود الرحيب . فأثر ذلك تأثيراً عميقاً في روحه الفنية ، وطبعه بتلك الانطباعات المتسعرة التي اعتصرت روحه العبقري على أساس من الثورة والألم ، إلى جانب تشاؤم في الحساسية عميق ، أشعره بآلام العصر الذي يضطرب فيه ، وشاع في جوانب نفسه ميولاً متدفقة قوية ، ولكنها تتأرجح بين « الشواطئ الزرق البعيدة الحالمة » ، وبين « الجروف الصخرية الصماء »

فلخص ما يقوله الأستاذ الفيلسوف هوايتهيد فيه : أنه مؤمن بالعلم التجريبي يعالج الطبيعة ومظاهرها تحت ضوئه ، في الحين الذي يستند فيه إلى المذاهب المثالية الأخرى مثل : كانت ، بركلي ، أفلاطون

فهو مزيج من نوازع متباينة تتجاذبه ، فمن الناحية الواحدة نزعة إغريقية قوية تؤمن بالطبيعة وتقدسها ، ومن الناحية

(١) اختارها الأستاذ الزيات مقابل الكلمة الفرنسية routine

الأخرى إحساس ديني عميق يربط مظاهر الوجود في وحدة كيانية واحدة Pantheism

« عندئذ اتحد الجسم بالروح

وعرت كيان « أيانث » رعشة رقيقة

فأطبقت جفنيها المحتقنين بهدوء

وعند ذاك توقفت الأجرام المعتمة الزرقاء ... »(١)

ومن هنا كانت ابتداعيته الطامحة ، القلقة ، المشرئبة إلى مثل إنساني يحرر النفس ويعتقها من ربقة المادة ، وهدأته النفسانية المحلقة في عالم الأحلام : عالم المثل الرفيعة ، حيث الحقائق متلاحمة يعروها الغموض . فشعره صورة صادقة للرومانتيكية التي تغلب الإبهام obscurity على الوضوح ، ولو أنها لا تمت إلى الرمزية بصلة ما . فهي تسبغ صفة الجلال sublimity على كل شيء ، وتنصر الباطن من الظاهر ؛ فهي « رومانتيكية صوفية » بالمعنى الدقيق . وأكبر مظاهرها ، ذلك الطرب الساذج — الذي يقرب من العبادة — لغرائب الطبيعة ، والتمجيد المنيف لصور الوجود ، التي يذهب بنا إلى حالة انقياد روحي شديد ، هي من أسرار الطلاقة الفنية في شعره . ويظهر هذا الأثر واضحاً في قصائده الأخيرة : القبرة ، وانتصار الحياة ، وأبيسكديون التي حار النقاد فيها ، ومنظومتي هيلاس وبرمثيوس ، التي يصور فيها الجبروت الإبليسي في شخصية البطل الخرافي بريشة تفوق ريشة ملتون في تصوير إبليسه

وفي الطور الأخير من حياته تأخذ « صوفية شلي الرومانتيكية » شكلها الأخير ؛ إذ يخضع للقوى اللاواعية السلبية في النفس ، فيستشعر الألفة والانسجام في صلب الوجود العام ، ويدرك أن هناك عقلاً سامياً وراء كل شيء ، تتوقف السعادة الدائمة بالاتحاد الحي به — كما يعبر الصوفيون — بعد أن أنكر ذلك من قبل . وتحت تأثير هذا الشعور الجديد في كيانه ، نظم أغنيته الفذة أبيسكديون ، التي هي « نشيد باطن » لتلك الروح التواقة لذلك الحب المثالي السامي ، ولو أن فيها بعض الأثر من شلي القديم . وقد يخطيء من يظن أن شلي هنا ، يبحث عن الحب الحسي الأرضي ؛ فما الحب الذي يفتقده إلا الحب الروحي المشرق في المثالية الزاخرة بأحفل العواطف والأشواق ، حيث العناق الممكن بين الزائل الفاني والخالد الباقي ... « كل شيء يحول إلا إياك أيها الحب ... »

والآن استمع لشلي صاحب « ضرورة الإلحاد » ، ينشد في آخر سنيه على لسان « النبي محمد » في افتتاحية منظومته السامية هيلاس إذ يقول :

أسرعوا واملأوا الهلال الباهت

بالأنوار الحادة ، كتلك التي شقت عتمة ذلك

الليل المسيحي الذي انسحب إلى الغرب

حيث امتطى القمر المشرق صهوة النصر ...

ألا فلتحل اللعنة على أولئك الذين دينهم الإشراك وتقسيم الإله الأعلى المتعالي ...

فشعره — كما يبدو لأول وهلة — مزيج من الرومانتيكية الجامحة والتصوف الرزين ، مزيج من الأنوار والظلال ، ومن العقل والجنون ؛ فخياله المحلق النفور قد عصف بكل الفواصل الأرضية ، فانقطعت الصلة بينه وبين أكثر القراء . حتى أن النقادة الكبير « ماتيو أرنولد » أطلق عليه لقب « الشاعر السماوي المجنون » ، إذ عاش حالماً بعوالم أثيرية قصية ، مفعمة بأنفاس المحبة والجمال ، (غدقاً بشفق الحياة النائم) — وقد كرر هذا المعنى في شعره كثيراً —

ألا نهيم يا حبيبتي

نحو غابة الشفق ،

حيث يتعالى القمر الوضيء ؛

وهنالك سأهمس إليك

في هواء الليل البارد

هل أنت قادراً على البوح به في النور ؟ »

ولقد اختلف النقاد في تقدير ملكة شلي الفنية اختلافاً كبيراً ، فهاجمه كثير منهم ، أمثال صديقه الخائن « هوج » و « بيكوك » وغيرهما . بينما انتصر له النقادة الكبير ماتيو

(١) يحدثنا الأستاذ « ول دورانت » صاحب كتاب قصة الفلسفة : أن شلي شرع فعلا يترجم كتاب « إسبينوزا » « رسالة من الدين والدولة » ، وهي أهم مؤلفات فيلسوف وحدة الوجود الأكبر بعد كتابه « الأخلاق » . وقد استشهد كثيراً بأقواله في الاقتطافات الفلسفية التي وضعها لقصيدته هذه التي عنوانها « الملكة ماب »

أرنولد وأنصفه من أعدائه . كما أن الكاتب الكبير لورد ماكولى كتب عنه يقول : إن شعر شلى لم يكن فناً وحسب ، إن هو إلا وحى . أما البروفسور إيفور إيفانس أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة لندن ، فقد رفعه إلى رتبة النبوة فى شعره ، واعتبره من أصحاب الرسالات المثلى فى تاريخ البشرية

ومهما يكن من رأى النقاد فيه ، فالحقيقة أن فيه عنصراً غير عادى ، هو الذى حمل معاصريه على أن يروا فيه — على رأى ستيفن سبندر — رجلاً هستيرى المزاج ، منحرف السريرة ، مزيجاً من الغول والإنسان ، حتى أن رفاقه فى المدرسة زروا عليه شذوذ سلوكه واندفاعاته الطائشة ، فلقبوه بـ « شلى المجنون » ، كما أن مؤسسة (شانسرى) قررت حضانة ابنته من زوجه الأولى ، بحجة أنه رجل مهووس مخبول ، ليس أهلاً لإعالة إنسان . وفى ذلك — كما يبدو لنا — مظهر من مظاهر العبقرية السامقة التى لا تخضع لمقاييس الناس وموازينهم . أو ليست العبقرية — قبل كل شيء — انطلاقاً من كل قيد ، وشروداً عن كل مصطلح ومألوف ؟

أما عقيدة شلى الفلسفية ورسالته التى بشر العالم بها فلها قصة طويلة لا نستطيع جلوها ناصعة إلا عن طريق الدراسة الدقيقة لشعره فى مختلف أطواره الروحية . مع أنه — بالحقيقة — ليس صاحب فلسفة متبلورة ناضجة ذات حدود ، إن هى فى مجموعها إلا تجارب نفسية متباينة ذات أصباغ مشوشة غامضة

فشلى يرى ظواهر الوجود سيلاً مندفعاً من أزل الآزال إلى أبد الآباد لأى لحظة واحدة من الزمان . فهو — إذا شئنا الدقة الفلسفية — خلق مستمر ، وامتداد من عالم الحرية إلى عالم الحتمية والضرورة .

« الكون السرمدى لهذه الأشياء
يتزاكض خلال العقل ، ويضرب بأمواجه الخاطفة .
آونة قاتمة ، وآونة ملتمعة ؛ حيناً تقبض النفس ،
وحيناً تنيرها ... ...
كجدول رقراق يأخذ سمته ، خلال الغاب الكثيف
وبين الجبال ، حيث الشلالات المتدافعة حولها إلى الأبد ،
وحيث الغاب والريح يتصارعان ؛ يتدفع النهر الكبير

دائباً على الصخور بلا انقطاع ، وهذه الكائنات — وفيها الإنسان — « كسحب تغشى القمر الليلى ،
وسرعان ما تنقشع ، فتلتمع ، ثم ترتعش ،
فتفرى الظلام بلألائها ! ثم يطبق الليل
ثانية ... فتضيع هاتيك السحب إلى الأبد .
... ألا إن أمس الإنسان لا يشبه غده
فهو لن يعانى غير التغير المستديم . »

أما حيال ذلك السر المحجب القديم : سر هذا الوجود ، ماذا يحول ؟ وأيان منتهاه ؟ فكثيراً ما وقف واجماً مبهوتاً ، لا يرى غير ظلمات يركب بعضها بعضاً .

« يا أشباح الموتى ! ألم أسمع عويلك المرتفع مع أنفاس الليل الدائرة ، حيث تشتد العاصفة على الأثير المظلم
وعلى الريح الرخية يتلاشى هزيم الرعد ؟
ألا ما أكثر ما وقفت على قمة جورا الظلمة العابسة فوق الوادى المنفرج فى الحضيض .
وما أكثر ما صمدت أمام ثورة إعصار الليل القارس
إذ يحوطنى ، كما يبدو لى ، رجع أصداء الموت الهامسة ! »

فالموت يطارد جميع الكائنات « بأقدام لاهية وأنفاس باردة صفراء » ، حتى الشموس والأفلاك يصيبها الخمود والاندثار :

« أخبرنى أيها الكوكب ذو الأجنحة النورانية
المسرعة بك فى دورانك المشتعل ،
فى أى من كهوف الليل ستنطوى أجنحتك
وأنت أيها القمر الأشيب المزيل
فى أية أعماق من الليل أو النهار
تطلب الراحة والسكون ؟ ... »

لا ! لن يقوى أمام ناموس الفناء غير « ذلك النور السماوى المؤتلق إلى الأبد » ؛ أما الظلال الأرضية « فتتناثر بدداً تحت وطء الموت ... بينما تبقى روح أدونيس مشتعلة فى أعمق أطباق السماء كوكب هاد حيث الخالد الباقى . »

... وأخيراً طوته ظلمة الموت بعد أن ترك للعالم تجربة حية صادقة ، وسجل لنا اعترافاً روحياً طويلاً مكتوباً بدم القلب

(بغداد) محيى الدين السامرائى

على ضفاف الجحيم

[إلى ذلك الروح الذى نفث القدر
فى دمى معناه فأخرس كبريائى ومزق رغباتى
وضرب على مشاعرى جواً من الضباب ،
تتخبط فيه حكمتى وتتعثر أشواقى]

عـلام أبعث للدنيا بأنغامى   لا الظل ظلى ولا الأنسام أنسامى
لا الشمس فى صحوتى أسمى بموكبها   ولا الحقيقة فى آفاق إلهامى
حيان أطوى الليالى البيض فى سَغَبٍ
تُكَلِّفُ الوزر والحرمانَ أوهامى
حيران تصطرع الأهواء فى خلدى
وساوس الشك فى صحوى وأحلامى
مروّع العقل والوجدان ذو أمل   مشترد الرأى أفّاق الخطى ظامى
موزّع الحسّ مخدور المنى شَرِقٌ   مفزّع القول هدّامٌ لأصنامى
دنياى خلوٌ من الأفراح يا عجباً   عـلام أبعث للدنيا بأنغامى

* * *

هنا ذوت حكمتى وانهار إيمانى   وعربد الشك فى عقلى ووجدانى
بالأمس كنت هنا قديسَ حانتهم
أحـدو الجنـون وأحـدوها بألحانى
أجامل الزور فى أفواه من شربوا   وآخـذ القـول بهتاناً ببهتان
جُنَّ الجميع فهـذا عبد شهوته   وذاك تاجر زهدٍ بين رهبان
لباقة الراح هاجت إفك مسرحهم   كلٌّ وفى يده مصباح شيطان
حقيقتى فوق ما فى الـكأس من سَكَرٍ
فلم أُجَنَّ ولـكن جُنَّ حرمانى
من لى بسبمة أيقاظ لأنشدهم   هنا ذوت حكمتى وانهار إيمانى

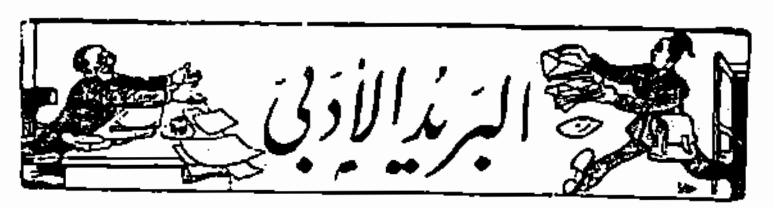
* * *

يا وحدتى بين نادى الصحب والآل
كلٌّ بمثـــل ولم أظفر بأمثال
أنا الغريب ونفسى فى مجاهلهـا
حيرى تَلَفَّتُ عن قومى وآمالى
تهفو إلى النور فى جوع وفى ظمأٍ
كأنها ذلة فى وجـــه رئبال
تمضى على الشوك لا تشكو تعثرها
ولا يفزّعهـا تحويم أهوالى
مضى الشباب سُدىً ما كان أجمله
لو لم أُقَضِّ سنيه بين أغـــلالى
طويت أيامه إثماً وسـخرية
أصانع الإفك فى حـلى وترحالى
من يفهم النفس إن أفضت بقولتها :
يا وحدتى بين نادى الصحب والآل

* * *

أخرجت من معبد الأوهام خفّاق
وعشت فى حكمتى مجنون آفاق
هدمت محرابى الأسمى وكم سجدت
على قداسته روحى وأشـــواقى
أحرقت إنجيله كفراً وكم خشعت
نفسى لما فيه من نور وإشراق
ماتت صلاتى وكانت آيها سكناً
لما أكابد من يأس وإملاق
خـلا المصلى وطافت حول هيكله
معالم الجـــد فى صمت وإطراق
وأطفأ المعبـــد الوضاء راهبه
وودع القدس فى زيغ وإشـفاق
وأرسـل الحكمة الهوجاء هاتفة :
أخرجت من معبد الأوهام خفاق

(كلية الآداب)   محمد العبونى



بين الدين والعلم في ختان الأنثى

قرأت كلمتين في العدد — ٥٤٨ — من مجلة الرسالة الغراء : إحداهما للدكتور أسامة ، والثانية للأستاذ محمد أحمد الغمراوي ، فأما الدكتور أسامة فقد عاد إلى بحث ختان الأنثى من الناحية الدينية ، ونحن لا نريد هذا منه ، وإنما نريد منه أن يبين لنا رأى غيره من الأطباء في هذا الختان ، لأن رأيه وحده فيه لا يفيد القطع في هذه المسألة من الناحية الطبية ، ولا بد من الوصول إلى رأى قاطع فيها من هذه الناحية قبل بحثها من الناحية الدينية .

وأما الأستاذ الغمراوي فلا أدرى ما يأخذه على وقد مضى يعالج مسألة الختان على طريقتي من التوفيق بين الدين والعلم ، وخالف طريقة من رددت عليه حين يريد أن يثبت أن هذه المسألة من الدين ، ولا يريد أن يعالجها من ناحية العلم ، بل يرى دكتوراً فاضلاً يريد أن يوفق بين الدين وبين ما يراه مخالفاً له في الطب ، فيقطع عليه طريق هذا التوفيق ، ولا يقول له إلا أن مسألة الختان من الدين ؛ فإن معنى هذا أن حكم الطب فيها لا يعبأ به ، وهذه هي الطريقة التي قلت إن الدين لا يخدم بها ، وقلت إنها تخالف ما اعتمده سلفنا الصالح في تعارض دليل العقل ودليل النقل

ومن العجيب أن يقول الأستاذ الغمراوي : إن قراراً إجماعياً لو صدر من الأطباء بتأييد الدكتور أسامة لا يغير من الحكم شيئاً في هذه المسألة بالذات ، ثم يمضي بعد هذا في محاولة التوفيق بين الطب والدين في مسألة الختان ، وهذا تناقض لا أدرى كيف وقع فيه . وقد يعقل أن يأخذ الإنسان في هذه المسألة بحكم الطب ولو خالف الدين ، وأن يأخذ فيها بحكم الدين ولو خالف الطب ، ولكنه لا يعقل أن يضرب بإجماع الأطباء فيها لو حصل عرض الحائط ثم يمضي في محاولة التوفيق فيها بين الطب والدين ، ولكن الأستاذ الغمراوي يريد أن يمسك بذيل الرجعية والتجديد معاً ، وأن يجمع بين إعجاب الرجعيين به والمجددين ، وهو في هذا كمن يحاول الجمع بين الضدين

عبد المتعال الصعيدي

ختان البنات بين الطب والدين

فائدة الختان تتلخص طبياً فيما يأتي :

أولاً — الافراز الدهنى المنفرز من الشفرين الصغيرين وجزء من البظر إن لم تقطع في الختان تتجمع وتتزنخ ويكون لها رائحة غير مقبولة وتحدث التهابات قد تمتد إلى المهبل بل إلى قناة مجرى البول ، ورأيت حالات كثيرة بهذه الالتهابات في بعض السيدات سببها عدم الختان

ثانياً — هذا القطع يقلل الحساسية الجنسية للبنت ، حيث لا شيء لديها ينشأ عنه احتكاك جالب للاشتهاء ، وحينئذ لا تصير البنت عصبية من صغرها

وإن عملية الختان لا تقطع البظر من جذره بل تقطع جزءاً منه ؛ فهي تقطع الحشفة وجزءاً من العضو ، وهذا الجزء الأعلى هو ذو الحساسية الشديدة ، ثم يبقى جزء منه توجد فيه أيضاً الحساسية ولكنها أقل أثراً

ويقول الدكتور الفاضل أسامة (إن إزالة البظر يحدث عفة جزئية للفتاة قبل الزواج مشكوكاً فيها ، ولكنه يحرم المرأة المتزوجة من الشعور الصحيح باللذة الجنسية) ولكن الحقيقة التي لا مرية فيها أن الفتاة التي استهدفت لعملية الختان قلت فيها حساسية الشهوة بخلاف التي لم يحدث لها الختان فإن أي احتكاك (بالبظر) حتى بثوبها يحرك فيها حساسية شديدة ربما لا يؤمن جانبها في الفتيات . وأما قوله إن المتزوجة تحرم من الشعور الصحيح باللذة الجنسية ، فهذا غير صحيح ؛ فالشعور لا يزال فيها لكنه شعور غير فياض رزين غير عابث ، مضبوط زمامه غير منفلت

ثم إن حضرة الدكتور يقول إن الجاذبية الجنسية لا تحدث من الأعضاء التناسلية الخارجة ، وإنما تحدث من الصفات الجنسية الثانوية ، وهي في الأنثى جمال الوجه . الخ .

إذاً فالتأثير الجنسي لم ينعدم في المرأة بعد ختانها إنما وجد بمقدار إن زاد أضر بها

هذا هو رأى الطب فى ختان البنات فانظروا إلى رأى الدين : يقول صلى الله عليه وسلم (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) . وأية مكرمة للنساء أفضل من هذه المكرمة التى تضبط شهواتهن وتقلل من اشتهائهن ، وفى الوقت نفسه لا تحرمهن لذاتهن .

ثم انظروا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجرت النساء ، وكان فيهن امرأة يقال لها أم حبيبة ، وكانت تختن الجوارى ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم حبيبة ، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم ؟ فقالت نعم يارسول الله إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه ، قال بل هو حلال ، فادنى منى حتى أعلمك . فدنت منه فقال يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكى ، فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج .

فانظروا إلى كلمة (لا تنهكى) أى لا تستأصلى . أليس فى هذا الحديث معجزة تنطق عن نفسها ، وتدل بوجهها ، فلم يكن الطب قد أظهر شيئاً عن هذا العضو الحساس (البظر) ولا التشريح أبان عن الأعصاب التى فيه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى علمه العليم الخبير ، عرف ذلك فأمر ألا يستأصل العضو كله حتى لا يفقد الحساسية جميعها

فأى تعارض بين الطب والدين فى هذا ؟ أما عن قول الدكتور عن أضرار الخطر الجراحى كالنزيف ، فهذا أيضاً فى ختان الذكور وإن كان حضرته لا يمانع فيه فى الذكور فما كان هذا الضرر الممكن منبعه لمنع هــذه الفائدة . وها نحن نرى هذه العملية تعمل يومياً بين نساء جاهلات ولم نر أضراراً كثيرة بل قل أن تنزف منها فتاة

وختاماً أخالف الدكتور أسامة فى رأيه ، وأرى أن ختان البنت مكرمة لهـا ، وأقول إننى ما رأيت الدين يدعو إلى شىء إلا وجدت الطب يتبعه فى ذلك ، ولمن يريد التثبت من ذلك أن يقرأ كتابى (الطب الحديث يترسم خطى الإسلام) وكتابى (الحمل وخلقته الإنسانية بين الطب الحديث والقرآن) فيرى صدق ما أرى إليه والسلام .

الدكتور
حامد البدرى الغوابى
طبيب أول رعاية الطفل ببنى سويف

نبغاء الأقزام فى رسالة الغفران

فى أكثر اللغات مثل سائر أو كلمة مأثورة أو أطروفة ضاحكة تؤكد للأقزام وقصار القامة من الناس الذكاء والنبوغ وحدة الذهن والحيوية . حتى لتكاد كلمة قصير تصبح بنفسها علماً على العبقرية أو مرادفة لها . والإحصاء نفسه يبرهن عليه . وفى ذلك بحث طريف لم يتنبه له الكتاب بعد ولم يقيموا له بحثاً بذاته على ما فيه من سعة وعمق وإمتاع

دعانى إلى هذا التقديم كتاب ظهر منذ أيام باللغة الإنكليزية مترجماً عن العربية تعاون على إخراجه أقزام ثلاثة مشهورون ، بدأه أولهم قبل ألف سنة وأتمه الآخران منذ أيام . هؤلاء الأقزام الثلاثة هم : أبو العلاء المعرى وكامل كيلانى ومستر براكنبورى . وضع أبو العلاء رسالة الغفران وقذفها فى تيار الفكر الإنسانى تنحدر مع الأيام وطال بها حلك الليالى عصوراً مديدة حتى جاء الكيلانى فتناولها بالتحقيق والتهذيب ونشرها فى الفكر العربى الحديث نوراً قوياً ساطعاً . والكيلانى يعشق أبا العلاء عشقاً عنيفاً ويرى فيه صورة العقل العربى الجبار ويبرهن على أن فى كل جملة منه توجيهاً جديداً ، وأنه أسمى تفكيراً وأسلم منطقاً من كثير من مشهورى الغرب قدمائه ومحدثيه . وهذا ما حثه فتعاون والمستشرق الإنكليزى جيرالد براكنبورى على ترجمة رسالة الغفران إلى الإنكليزية . وقد تم طبعها الأنيق منذ أيام فجاءت تحفة ممتازة من تحف العقل العربى فى المكتبة الإنكليزية . ولئن كان الإنكليز قد اطلعوا على شىء من أدبنا القديم فإنما اطلعوا على أضعف مافيه غالباً وهو ما يمثلنا فى عصور الانحطاط كمقامات الحريرى مثلاً ؛ على أنها فى حقيقتها لا تمثل إلا القدرة اللفظية وألاعيب التراكيب مما لا يروق العقل المفكر . أما رسالة الغفران ففخر لنا نباهى به ؛ وأنا على مثل اليقين أنها ستستجوذ على الشهرة التى نالتها ترجمة فيتزجرالد لرباعيات الخيام . وترجمة الرسالة هذه تكاد تكون حرفية لكنها قوية لا تحس فيها موضع ضعف أبداً وتقل فيها الشعر إلى الإنكليزية شعراً . وسـ د براكنبورى على ذلك سعة اللغة الإنجليزية نفسها وليونتها وتعدد الألفاظ الدينية وترادفها بمعانيها نفسها أو بمعان أخرى قريبة منها مما لا نجد له مثيلاً فى سائر اللغات غير العربية . أضف إلى

هذا كله قدرة برا كنبورى الفائقة فى لغته وفى العربية والتشابه القوى فى حياة المؤلف والمترجم وطراز التفكير ، ثم إمداد الكيلانى وتحقيقه وجهوده

فأبو العلاء المعرى وكامل الكيلانى وجيرالد برا كنبورى ؛ هؤلاء هم الأقزام الثلاثة الذين تعاونوا على تقديم رسالة الغفران إلى الإنجليز . ومن أجدر فى القيام بهذا العمل الجبار من هؤلاء النبغاء الثلاثة ؟

(القاهرة) ممدوح حقى

الشيخ عياد الطنطاوى

فى تاريخ الأدب العربى الحديث شخصية عملت على نشر الأدب العربى خارج نطاق مصر ، وهى تكاد تكون مجهولة من المعاصرين . تلك هى شخصية الشيخ محمد عياد الطنطاوى (١٨١٠ — ١٨٦١) الذى كان يقوم بتدريس الأدب العربى فى مدرسة لازاروف بمدينة موسكو ومؤلف كتاب « أحسن النخب فى معرفة لسان العرب »

ورجائى ممن يعثر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التى يمكن الرجوع إليها عن شخصيته

محمد أمين حسونة

حفلة تأبين الشيخ ابراهيم باكير عالم طرابلس الغرب

أقيمت فى طرابلس الغرب حفلة تأبين لشيخ علمائها المغفور له الشيخ إبراهيم باكير دعا إليها الأفاضل أبناء الشيرق وفريق آخر من الأدباء . فافتتحت بآى الذكر الحكيم ، ثم قام سماحة المفتى فشكر للداعين سعيهم وذكر مآثر الفقيد ، ثم تتابع بعده الخطباء والشعراء فعددوا مناقبه ومواهبه .

وقد ولد رحمه الله عام ١٢٧٣ ، ونشأ فى بيت علم وفضل شهر منذ الفتح العثمانى بالقضاء والفتيا والخطابة ؛ فكان نموذجاً سامياً فى الأخلاق الكريمة والخصال النبيلة والآداب العالية . وكان معروفاً بتواضعه وعزة نفسه ورقة عاطفته وصدق عزيمته ونزاهته وجده فى كل شىء وتقديره واحترامه للغير

وكان يعتبر بحق شيخ مشايخ القطر وخاتمة المحققين . فقد كان حجة فى كل العلوم ، وثقة يرجع إليه فى المشكلات . ولم تكن منزلته العلمية ومكانته الأدبية وشهرته قاصرة على وطنه ومواطنيه ؛ بل كان فضله مذكورا بين علماء دمشق وأدبائها حيث تسنى له أن يؤدى رسالة العلم والأدب فى العاصمة الأموية زهاء ثمانى سنوات كان فيها موضع الإجلال والتقدير

وله عدة تآليف ورسائل نذكر منها :

١ — فتاوى على المذهب الحنفى
٢ — فتاوى فى الوقف على المذهب الحنفى
٣ — منظومة فى الحكمة والأدب
٤ — رسالة فى علم البيان
٥ — منظومة فى علاقات المجاز المرسل
٦ — رسالة فى المنطق
٧ — منظومة فى المقولات مع شرح لها
٨ — ديوان شعره

وقد تولى من المناصب فى العهد العثمانى : عضوية الاستئناف ، ورآسة المحكمة الاتهامية من سنة ١٣٠٦ إلى ١٣٢٤ . ثم الفتوى ورآسة الأوقاف من سنة ١٣٢٤ إلى الاحتلال الإيطالى . ووكالة رآسة مجلس الإدارة قسم المحاكمات والجنح من سنة ١٣٢٥ إلى ١٣٢٨ عن أربعة ولاة . وفى دمشق حين هاجر إليها عرض عليه إفتاء طرابلس الشام فلم يقبل ، وخصص له معاش باعتباره من هيأة كبار علماء المشيخة . ثم رأس بعثة أثناء الحرب العالمية وفدت إلى المدينة المنورة فقام بها خير قيام . ورجع إلى طرابلس بعد الاحتلال الإيطالى فعين حاكما بالمحكمة العليا وظل فيها ١٥ عاماً إلى أن توفى فى ربيع الآخر سنة ١٣٦٢

الهوى العذرى

لا يؤمن كثير من أهل الرأى بما دونه مؤرخو العرب من القصص الغرامى الملتهب « كقيس ليلى » « وقيس لبنى » بل لقد يذهب بعضهم إلى الضحك منه ، والسخرية به ، ويعتقدون أن هذا القصص تصوير روائى ، وخيال شعرى

وأحسب أن الذين يسفون هذا الرأى بنوا عقيدتهم على خبرتهم الصادقة بالطبيعة البشرية

فهذا العشق الذى يهيم له الرجل على وجهه ، ويدخل الضيم على مروءته ليش من طبيعة الرجل ، وهو الذى يجرى بفطرته وراء النفع والطمع ، ويسعى بغريزته إلى النضال فى معارك الحياة وتكاليف العيش ، إنما الحب زخرف من زخارف صباه وزينة من زينات شبابه ، بل هو أغنية من أغانيه يتطرب بها فى مجال نضاله فى الحياة ، ويتغنى بها فى خلال جهاده للعيش

من طبيعة الرجل أن يسعى إلى الشهرة والثروة ، وأن يتبوأ مكانها ملحوظاً فى رأى الدنيا ، وقم التاريخ ، ومن أظهر ميوله حب السيطرة والسيادة وبسط السلطان

هذا الرجل قد يحب ، وهذا طبيعى أيضاً ، وقد يحدث الإخفاق فى حبه لوعة ومرارة تجرح شعوره وعواطفه ، لكنه مخلوق نشيط تشغل مخه أفكار متباينة فى دائرة الحوادث المختلفة ، وفى مناحى الفرص المتعددة التى تسنح بين حين وآخر فى ميدان النضال الحيوى ، فإذا كانت الفجيعة أليمة ، مفعمة بالهواجس والخيالات والأحزان ، فقد يجد من وسائل الكسب ومباهج الأفراح والملاهى ، وحزم الإرادة القوية ما يتلهى به فينسى

هذا شأن الرجل إذا أحب ، وهو كثير المشاهدة بين الناس تجرى الحوادث فيه على ما رسمته الطبيعة البشرية ، أما هيام الرجل على وجهه ، وتدلهه وإغفاله تكاليف الحياة ومسئوليتها جرياً وراء امرأة ، على الوصف الذى دونه مؤرخو العرب فى (قيس ليلى) (وقيس لبنى) فهو بعيد حتى عن الذوق الإنسانى

ومن عجب أن يهيم الرجل ويذهب ، وتصبر المرأة وتتسلى فلا تهيم على وجهها ، ولا يذهب بها التدله شتى المذاهب ، فتأنس إلى الغزلان فى مسارحها ، وإلى الوحوش فى مساربها إلى غير ذلك من مؤثرات التأليف المسرحى

كيف يكون هذا والمرأة كلها قلب ، وحياتها تاريخ كامل للعاطفة ؟ هى ، عمرها ، أسيرة أفكارها ، رقيقة عواطفها ، فإذا تسلط على هذه الأفكار والعواطف حكام من الخيبة والفشل ، فأين تجد التأسى ؟ لا شىء ؛ إلا أن تكون كالقلعة المقتحمة قد انهارت أسوارها

كم من عيون براقة خبا بريقها ، وكم من خدود متوردة ذبلت حمرتها ، وكم من قوام معتدل هصره الأسى فأماله ، كل ذلك والحب فيها خجول صامت لا يجرى فى الطرقات ، ولا يتسكع فى الصحارى . قد تمتص الفجيعة دمها ولكن فى صبر وتجلد

هل كان قيس يحب ليلى وليلى تكرهه ؟ لا . إنما كان بقلب ليلى من العشق والوله مابقلب قيس . إذن فلم يهيم الرجل ويذهل ، وهو أقوى عزما ، وتتجلد المرأة وهى القلب المتفجع ؟

هذا وضع مقلوب للطبائع البشرية لم يجنح إليه المؤلفون إلا للقصة والرواية

ولِمَ اختص بالجنون عشاق المرأة وحدها ؟ ومن الناس عشاق متدلهون فى المال ، ومنهم عشاق الشرف والمروءة والرجولة الكاملة ، وقد أصيب كثير من هؤلاء فى مالهم ورجولتهم فما هاموا على وجوههم ، ولا فقدوا رجولتهم ، ولكنهم طالجوا الحياة من جديد بما وهبوا من المزايا الطبيعية لينالوا نصيبهم منها

ومن أظهر ما يدل على أن هذا القصص موضوع ما يشاهد فى طبيعة البشر من أن الرجل إن استحلف بالله رب كل شىء ورسله وكتبه سهل عليه الحلف ولم يأنف منه ، فإن استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه واستطاره الغضب وعصى وامتنع حتى لو كان الحلف سلطاناً مهيباً ، هذا وإن لم يكن يحبها وكانت هى قبيحة المنظر ، فكيف يسوغ عقلاً أن يطلق قيس لبنى وهو يحبها ؟ وهى جميلة الخلق والخلق ، لمجرد أن أبويه طلبا إليه هذا الطلاق وكفى ؟ لقد خير ملك عظيم بين عرشه وبين زوجة ارتضاها ، فنزل عن العرش ولم يفترق عن زوجته

ألا أن العرب لم يكونوا بدعاً من الناس ...

عز العرب على

إلى حضرات المشتركين

نرجو من حضرات المشتركين الأفاضل أن يبدوا رغبتهم فى تجديد الاشتراك عن سنة ١٩٤٤ على أن يصلنا ذلك قبل يوم ١٥ يناير وإلا كان سكوتهم إذناً منهم بقطع المجلة